

نافذة

ولادات خارقة

أطلق عليها الحياة الافتراضية، دعونا نخض غمارها، ونبحث عن الكيفية التي سيطرت على عقولنا، واخترقت أبعادنا، خدعتنا على غفلة منا، لحظة أن شهدنا أنها براءة ساحرة مبهرة، غدت متسارعة لدرجة الإنهال، لأن التفكير يعقل المستقبل يظهر وضوحاً مسوغاً، أو في كثير من الأحيان مقنعاً لأغلب الحالات المعيشية، ومنه أخذنا نرى أن تقاطر الدراسات وتقدم البحوث التي أخذت نتائجها تظهر حال الأجيال القادمة، وبشكل خاص الطفولة، والمراهقة قوة تطلقها بالحياة الافتراضية، فمكوثها مع الإنترنت تغفل في مفاصلها العقلية والجسدية، وأخذ يحل محل الحياة الطبيعية، وتحولت أغلبية مريدتها إلى القرار الفردي، وجسد ذلك عملية الانطواء والتوقيع والانحصار في المكان، وأقدها الحضور الجماعي.

كل هذا نتاج الاندماج التام ضمن وسائط تكنولوجيا الاتصالات التي سيطرت بشكل تام على فكر المجتمعات أفراداً وأسراً ودولاً، وتحول تأثيرها إلى إشكالية ثابتة، أخذ فائض الوعي يتابع نتائجها، بحكم ما تحمله من الخبز على المتابعة وجود الإغراء النوعي والإغواء المبهى من الجنس إلى المعرفي إلى الديني إلى العلمي، ومن خلالها وجدنا اتحاد السبب بالمسبب، والمشكلة بالنتيجة، ولم يعد بالإمكان فصل أحدهما عن الآخر، وأصبحت هذه الوسائط تتحدث بأنها مدرسة حديثة جداً، انتسب إليها الجميع، ونفت مع حضورها جميع التأثيرات المحيطة: تلفزة، إذاعة، مسرح، سينما، أدب، شعر، فهذه قد أصبحت وأمسّت أقل من حدث، مهما بلغ شأن كل مقردة منها، واستلقت من الجميع كل شيء، وقدمت حضورها لكونها الأحداث وخزان العلوّات الشخصية والعامة، إنها تعمل كما الشيطان، وتفكر كالإنسان، حيث كشفت للعالم أجمع حجم خيانة البشرية لبعضها وسطوها على بعضها الآخر.

حياة افتراضية تمنح الأحلام، توزعها بين أفكار الأجيال، توحدنا في عقولهم، تصفغ أوصارهم، وتطبع من حركتهم، تخلق فيهم نزعات القفز إلى الأعلى مباشرة، بدلاً من أن تأخذ بهم إلى أن الصعود يكون درجة درجة، بعد بناء قاعدة صلبة قادرة على حمل سلالهم، حتى الكبار الذين بنوا حياتهم وأسرمهم وأنجزوا فيها بين البسيط والمتوسط والجيد والمبدع، نجدهم اليوم وقد تعلقوا بيده الوسائط، ولم يعد هناك من شخص إلا ويقتني وسيطاً من وسائطها، حتى الأطفال الرضع تدخل ذاكرتهم من خلال الأهل الذين يبحثون عن المشاهد التي توقف بكاهم، أو تثير ضحكاتهم، وأكثر من ذلك تفرقت الأسرة في المنزل الواحد، فكل واحد منهم تجده يستند إلى ركن، يبحث في جواله، أو يتابع عبر حاسوبه، ضاعت الألفة، وسادت الفقرة، ولم يعد أحد يستطيع التنازل عن محموله، وإذا فقهه لبرهة، تجده كالمهائم على وجهه.

حاولوا أن تخفوا «موبايل» ابن أو زوج أو صديق زائر أو رفيق عمل، وراقبوا ما الذي يجري؛ انقلبت يصل إلى حدود اللا أخلاق، واختلاف لا يمكن تخيله، وإذا اطع أحدهم على جهاز الآخر من دون إرادة من صاحبه، تخيلوا أن الأمور قد تصل إلى حد الطلاق بين الأزواج، وإلى الفراق بين الأصدقاء، وتهدمت من الأبناء أو الإخوة.

هل من حل لهذه الحياة الافتراضية؟ أجزم أنها غدت أكثر من قضية، بعد أن تحولت إلى ذاكرة خفية وصندوق أسود، خرج من داخل الإنسان، يسكن هذه الوسائط، فهل ننتهنا ونهينا هذه الأجيال من سلبياتها وحسناتها؟ وكيف بها تقدم التحامل السخيف على المعرفة الأصيلة؟ وكذلك تشوه حقائق التاريخ المشتقة من الشواهد والوقائع بحكم كثافة معلوماتها التي تتعد وتسمل الوصول إلى الحقائق، والأجيال لا تترك ذلك، والمسؤولية تقع هنا على القارئ والمقّمين لعقلية العولمة وأهدافها الظاهرة والعلنية، حيث إن إرادتها اختراق الحدود السياسية والاقتصادية والأخلاقية، وتغنيها المجتمعات بلغات جديدة، تختلف عن حضورها وقيمها وأصالتها وأعرافها، بأنها سوق واحدة تقزق العقول، وتحشر جميع الناس فيها، فيلهون بعضهم، يستهلكون كل شيء، وتعيد إنتاجهم عبر وسائطها أجيال متتابعة وصلت الخمسة، وهي إلى الأمام والقادم منهل.

هكذا هي العولمة، تصوير بأن كوكبنا قرية واحدة، ونعترف أنها قربت الجسد، واختصرت المسافات، وسرعت الزمن، وأنزلت الواقع يوسائطها، حيث حولتها إلى نوافذ، يرى الناس بعضهم من خلالها من أقصى الأرض إلى أقصاها، ومن شمالها إلى جنوبها، وشاقتها صغيرة، ولغتها بسيطة، هدف إلى أن يعيها الأمن والسلام، وتستحل من خلالها كل المشكلات، وهنا أعرّف وأقول عن درجة أهميتها في التعليم الأساسي والثانوي والجامعي والبحث العلمي والإنتاج والإبداع، طبعاً أحدثت عن الوسائط، وما توفره من زمن وهدوء وهدوء في النتائج، وقدرتها إن كانت في المسار الصحيح والاستخدام الواعي على توسيع المدارك والمعارف وتحسين الوجود البشري.

الحياة الافتراضية تسلب الناس من حقيقة وجودهم الواقعي، تفصلهم عن إنسانيتهم، تمنعهم من التواصل عبر الحواس الخمس المادية، تنتزع تفكيرهم الأخلاقي ببعضهم، أوصلتهم إلى أن يكونوا أدوات لأدوات افتراضية، نجحت في تعزيز الفرقة والتنافر، ومن ثم سلّمت سبل الاختراق، وهذا ما أصاب منظومة عالم الجنوب برمتها، وآثارها ظهرت لدى أقطار الأمة العربية، التي سادها عبر عشر سنوات الكثير من الخلل والتدمير، واضطهاد شعوبها لبعضها.

هل فكرت بما فعلته وأنجزته هذه الوسائط؟ فحيايتها كشفت أسرار الأديان، ونشرت فضائخ العلاقات السياسية ونظمها، وأشارت إلى الوحوش الاقتصادية، وقدمت العلاقات الجنسية بأبشع صورها، حقيقة تعمل على قتل الحياة الإنسانية والإنتاجية والإبداعية بين البسطاء والفقراء ومتوسطي الحال، وعلى تعزيز وجود التراء والسيطرة والغرور والاعتصاب، لأن وقوع هذه الوسائط بين أيادي من نكرت وولد لديهم حيرةً بوهيمية لا مثيل لها، يملؤها الوهم، وتملكهم وتدفع بهم لتصور أياماً قادمة وافرة بالرزق والرفاهية، على الرغم من أنها واقع بين أيدينا، إلا أنها تشابه البدعة المنظمة، المنشود منها إعادة الشعوب إلى الرومانس القديم، الذي تقوم بتحديثه وتقديمها للعواطف المريضة والأحلام الزائفة، ولتقدم إلى الذين عانوا الصعوبات الحياتية في سبيل اكتساب الشهرة والثروة والاستقرار.

عولم هذه الحياة الافتراضية كثيرة الأهداف متباعدة المرامي، هل انتبهنا إلى ما تخفيه بعد أن توازعتها مليارات البشر، وكشفت من خلالها ما في السماء، واستكشفت أعماق البحار؛ لقد نشبت القيور والصدور وما تحت الصخور، وشكلت للإنسان حاجة لا يمكن الاستغناء عنها، فغدت كالماء والهواء والطعام والشراب، وأكثر من ذلك فاقتهم.

هل يستطيع اليوم كائن من كان أن يحيا من دونها؟ والقادم منهل أكثر للعقل، فهي حقيقة الحياة، لكنها بلا حياة، أي بلا روح، ولا إحساس، تعمل على استلاب الروح والإحساس من النفس البشرية، هنا أعرّف أنها حياة جديدة غزتنا، فهل ننتبه إلى حسن التعامل معها؟

د. نبيل طعمة

تراجع ملحوظ في مسلسلات الأجزاء

لا بد من إيلاء هذه الظاهرة تعاطياً جدياً
للابتعاد عن الثثرة والإطالة والحشو

من مسلسل «باب الحارة ١٠»



من مسلسل «عطر الشام ٤»

زهير رجب، وبدأت الأحداث من قصف الانتداب الفرنسي لحرّات الضبع وأبو النار، فيموت معظم أهالي الحرّاتين، عدا «بوران» الابنة الكبرى لأبو عمام، و«الداية أم زكي» و«أبو كاسم» و«الشيخ عبد العليم» و«أبو مرزوق»، و«أبو النار»، و«فايزة» زوجة «عمام».

تهاجر العائلات التي بقيت حية إلى حي الصالحية بمشقق لتقيم هناك تحت رعاية المختار «أبو رسمي»، وبعد موت «أبو جودت» رئيس الكركون يظهر «أبو مشغل» ليستلم بدلاً منه.

ويجسد أنوار البطولة فيه كل من نجاح سكفوني وسلمي المصري ونظلي الرواس وتيسر إدريس وإيمان الحلبي وهدى شعراوي وعلاء قاسم وأمينة الحكيم وريم عبد العزيز وسمر عبد العزيز وأمينة ملص ومحمد فتوح ويحيى بيازني ورائد مشرف وتوليب الكري ومحمد الشماط.

أما «بقعة ضوء» فعاد بجزء رابع عشر من بطولة صفاء سلطان وعبد المنعم عمري وشكران مرتضى ومديحة قندلفت وإيمان رضا ومديحة كنيفاتي ومحمد خير الجراح وعيبر شمس الدين ويحيى بيازني وسوسن ميخائيل ونادين قدور ودانا جبر ونزار أبو حجر ومحمد حدادتي وروعة السعدي وميرياما مغلوبي.

وأخرج الجزء الجديد سيف الشيخ نجيب الذي سبق له أن أخرج الجزئين الحادي عشر والثاني عشر. وللعام الرابع على التوالي يحضر مسلسل «عطر الشام» من تأليف مروان قاووق وإخراج محمد زهير رجب وبطولة سلمى المصري ووائل رمضان ورونا الأبيض ونادين خوري وعلاء بدر وعلي كريم وعلاء قاسم وعلا باشا وفاديا خطاب وتولاي هارون وقاسم ملحو ويحيى بيازني وطرايق الصياغ وضوان عقيلي وريام كفاينة وأماتة والي وسوسن ميخائيل.

أحلى الأيام هو الجزء الثالث من مسلسل «أيام الدراسة» لكن العمل لم يحظ بفرصة عرض خلال الشهر الكريم وهو من تأليف طلال مارديني وإخراج سيف الشيخ نجيب وبطولة يامن الحلبي وجيانا عنيد ومديحة كنيفاتي وهبة داغر ومعصم النهار وحازم زيدان ومازن عباس ووائل زيدان وماهر الشيخ وإيمان عبد السلام.

أما مسلسل «طوق البنات» فقد صور منه الجزء الخامس العام الماضي لكنه لم يكتمل لأسباب مجهولة، وهو من تأليف أحمد حامد وإخراج محمد زهير رجب.

بعض الأعمال أساءت لفكرة الأجزاء
ولكن لا يعني أنها سيئة بالمطلق

الثثرة التلفزيونية

لا بد من إيلاء هذه الظاهرة تعاطياً جدياً للابتعاد عن الثثرة والإطالة والحشو، ليكون عدد الحلقات ضئيلاً وبالتالي تتخلص من الثثرة التلفزيونية، ولكن من الطبيعي أن نقول: ليس بالضرورة أن يكون العمل ذو الحلقات الأقل أفضل من عمل بأجزاء متتالية، فهذا الأمر مرهون بنمط ونوعية النص والمادة التلفزيونية المقدمة، كما أنه من الطبيعي أيضاً أن تذهب بعض التحليلات باتجاهات أخرى تتمثل في عدم كفاية جزء واحد لتحقيق الهدف من عمل ما، وخصوصاً عندما يتم تناول مراحل تاريخية.

لذا فإن الأجزاء في هذا النوع من الأعمال ضرورية، ففي «الحصرم الشامي» تم تناول مراحل تاريخية من تاريخ مدينة دمشق، وبالتالي لا يمكن جمعها في جزء واحد، وبالطبع فإن أي عمل درامي يتناول مراحل تاريخية مختلفة لابد ودول يستمد إلى عدد كبير من الحلقات. إذ أن الطبيعي أن تستمر الأعمال الناجحة في تقديم أجزاء جديدة ولكن بشرط أن تحافظ على المستوى ونفسه والحجاج نفسه وهذا ما نراه في عدد كبير من الأعمال الأجنبية الشهيرة.

خمس أعمال

إذاً الدراما السورية حاضرة بخمسة أعمال تنتهي إلى ما يعن أن نسميه ظاهرة الأجزاء، ليبقى الحكم النهائي على هذه الأعمال مرهوناً بانتهاج عرضها والمستوى الذي ستظهر به، وتأثير ذلك في استمرارها في أجزاء جديدة، أم التوقف عند حد معين ومدى انعكاس هذه الأعمال على مستوى ونوعية ما يمكن أن نسميه ظاهرة الأجزاء في الدراما السورية.

يتصدر «باب الحارة» المشهد الدرامي بجزء عاشر ولكن بشكل ومضمون جديدين، فالعمل يحمل كفاية جديدة يمثلين جدد، وهو نسخة ثانية من العمل الأصلي، وقد ألفه مروان قاووق وأخرجه محمد

التسويقية المرتبطة بطلب المحطات الفضائية العارضة والانتشار الجماهيري الذي يحققه العمل. وعلياً لا ننسى أن الأعمال التي خلقت عبر مسيرة الدراما العربية هي دراما الأجزاء منها «ليالي الحلمية»، و«رافت الهجان»، إضافة إلى «مرابيا»، ولاحقاً «باب الحارة»، وهي أعمال تأتي أهميتها من استمرارها وتقديمها الحياة عبر أجزاء، وخصوصاً أن كسابنها لا تنتهي بجزء واحد، لذا هي حق للمنتج ما دام أنه لا يسيء للعمل ولا يهدف إلى تقديم أجزاء لغاية الأجزاء فقط.

وبالطبع تتعدد الآراء حول مدى تأثير هذه الظاهرة في تطور الدراما السورية أو وقوعها في النمطية، فليس المهم عدد الحلقات أو الأجزاء، فأشروع يمكن أن يكون ناجحاً ولو استمر لمئات الحلقات ويمكن أن يكون فاشلاً بحلقة واحدة.

تسويقي وجماهيري

السببان التسويقي والجماهيري مرتبطان ببعضهما بعضاً، وهما عنصران أساسيان لانتشار ما يسمى بظاهرة الأجزاء، وهو أمر طبيعي، فعندما يحقق العمل نجاحاً جماهيرياً كبيراً فإنه يجذب صناعه نحو تكرار النجاح من خلال جزء ثان، الذي بدوره سيحجب المطة العارضة لتحقيق المزيد من المتابعين، وبالتالي تحقيق مكاسب إعلانية كبيرة.

فجماهيرية عمل ما تدفع صناعه إلى إنتاج جزء ثان وثالث ورابع منه، وهذا أمر طبيعي وموجود في كل أنحاء العالم، لأن هذه الجماهيرية جاذبة للمحطات الفضائية المتنافسة فيما بينها سعياً لكسب أكبر عدد من المشاهدين، وبالتالي تحقيق كمية أكبر من الأرباح. ولا يخفى على أحد أن بعض الأعمال أساءت لفكرة الأجزاء، ولكن هذا لا يعني أنها سيئة بالمطلق أو صحيحة بالمطلق، بل تبقى إلى الجودة في حال قدمت بطريقة حقيقية وواقعية، ولتحقيق أهداف استمرار الحكاية وطرح الأفكار المترابطة والمتواصلة التي لا يمكن طرحها في ثلاثين حلقة فقط.

موضة العصر

بشكل عام، أصبحت سياسة الأجزاء موضة العصر الدرامية المسيطرة على قسم غير يسير في الإنتاجات السورية، فالشركات وقبليها الكتاب باتوا يلهون وراء ابتداء سلاسل جديدة بعيداً عن حسابات الفكرة الناجحة والعمل المتكامل، باحثين عن الحضور الكمي على حساب النوع الذي يصل في بعض الأعمال إلى أدنى درجاته.

وكثيرة هي الأسباب التي تقف وراء انتشار هذه الظاهرة وربما تختلف من وجهة نظر القاصين هذه الصناعة الثقيلة، ولكن من المؤكد وجود أسباب أساسية يتفق عليها الجميع، وفي مقدمتها الأسباب



من مسلسل «أيام الدراسة ٣»



من مسلسل «بقعة ضوء ٤»

السكبة في رمضان دعوة للتراحم
وإشاعة البهجة تترافق مع النداء بفرحة الصائم

طبق حلوى لأخرى، فيكون هذا الطبق كفيلاً بإنهاء الخصام، وبالتالي فإنه ينذر أن يستمر خلاف بين الناس ضمن الشهر الفضيل.

على أن الصائمين يجب أن يراعوا مشاعر بعضهم عند تقديم السكبة، فإذا كانت العائلة التي سيقدم إليها الطعام من العائلات الفقيرة، فإن تقديم السكبة يجب أن يكون بشكل شبه سري قبيل أذان المغرب بدقائق قليلة.

ومما يذكر أن السكبة لا يشترط فيها أن تكون من أنواع الطعام الفاخر، بل على العكس ينبغي أن يتم تبادل السكبة المؤلفة من طعام بسيط جيد الصنع ورخيص الثمن، فهذا الذي يضفي البهجة على هذه العادة.

إلا ليتنا نجيب هذه العادة من جديد، لأنها تقوي الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ويعني النفس الإنسانية بأخلاق عالية وقيم ريفية.



على أن أجمل ما في هذه العادة أنها تستخدم لإنهاء الخلافات بين عائلتين تخاصمتا، إذ إن مجرد أن تقوم إحدى العائلتين بتقديم

الابتسامه وجوهم، يحمل كلّ منهم صينيّة عليها أتية أو أوان من الطعام الفاخر ذي الروائح الزكية، والبخار يتصاعد بتقديم

إنها السكبة، ظاهرة اجتماعية فريدة تدعو إلى التراحم والتلاحم وتشبع روح التعاون بين الجيران. ظاهرة تبث المحبة وتنشئ الألفة وتعلم الإيثار وتزرع الحنان... ظاهرة تؤكد أن الإنسان مطور بطبيعته على الود والصفاء والتعاون.

في شهر رمضان غالباً ما تطبخ سيدة المنزل أكثر من طبخة واحدة... واحدة للبيت والثانية للتوزيع على الجيران، وما أن ترسلها حتى تسمع طرقاً على الباب إذ يعود الصحن الذي أرسلته مليئاً بوجبة من طبخة مختلفة... وما أجملها من مفاجأة متعة أن تجد لديها فجأة صحن ملوحيّة مئلا أو صحناً من أكلة المحاشي جاهزاً دون عناء.

ما أجملها من ظاهرة اجتماعية تدعو إلى التراحم والتوادد، وتشيع الفرح في النفوس، إذ ما إن يقرب موعد أذان المغرب في رمضان حتى نرى في الحارات أطفالاً صغاراً تعلقو

أنس تلو

ليس في الحياة أجمل من منظر ولد يذق الباب على الجيران والفرحة تملأ قلبه، ويفتح له الباب فيقول: مرحباً تفضلي، ماما بتسلم عليك وتقول لك نوني هذا الصحن من المقلوبة... أو يقول: ماما اشتهتكم بهذه الحلويات من صنع يديها.

وليس أركى من راحة صحن المقلوبة المليء بالأرز المطبوخ مع البانجان واللحم والسمن العربي والزمن بأنواع المكسرات كالجوز والصنوبر واللوز والفسق الحلبي وهو ينتقل من بيت إلى آخر في الحارة، أو ينزل ويصعد إلى طابق آخر في البناء.